

بمواقفه الأخيرة «وجه لنا ضربة حمقاء» (٨) بينما خرجت في المدينة الفرنسية مرسيليا مظاهرة قادها سفير إسرائيل الأسبق في فرنسا رافائيل جاري تحتج على سياسة ديستان وترفع شعارات معادية له تتهمه بالتواطؤ مع عرفات (٩).

فرنسا بقيادة ديستان لم نكتف — على غير ما كان متوقعا — باتباع السياسة التي انتهجها ديغول وبومبيدو بعده ، بل انها تؤكد هذا الخط ، وتعمقه، وقد تأكد هذا في الفترة الأخيرة بواسطة ثلاث وقائع هامة : الأولى هي تصويت فرنسا بتأييد دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لعرض قضيتها على الجمعية العامة للأمم المتحدة والثانية: هي اجتماع جان سوفانبارج وزير خارجية فرنسا مع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : والثالثة هي التصريحات التي أدلى بها الرئيس جيسكار ديستان وأعلن فيها أن جوهر مشكلة الشرق الأوسط هو الاستجابة «للألماني الطبيعية» لشعب فلسطين بأن يكون له وطن (١٠).

ولكن هذه الوقائع الثلاث لم تكن إلا امتدادا ، للخطوط الأساسية التي وضعها ديغول منذ ١٩٦٧ (١١) في ضوء تفاعلها مع كل ظروف وواقع القضية الفلسطينية . فالاعتراف الفرنسي بشرعية المقاومة الفلسطينية ، والقرار بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون له وطن مستقل ، ليست مواقف طارئة ، ظهرت فجأة ، في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي — الإسرائيلي . ان لها مقدمات وسوابق مهدت لها ، وصاحبها ظروف عديدة ساعدت في بلورتها على النحو الذي أعلنه المسؤولون الفرنسيون أخيرا .

وفي الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، يستحق أن يمهّد له بالحديث عن جذور التغيير في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي منذ صعود الرئيس ديغول الى الحكم في ١٩٥٨ ، والاسباب الرئيسية التي دفعت الى ذلك ، وبلي ذلك الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، لتخلص منه الى آفاق السياسة الفرنسية واحتمالاتها في الفترة القادمة .

### ١٩٦٥ نقطة بداية

ركزت الكتابات السياسية العربية بصفة عامة، والكتابات الصحفية بصفة خاصة، في حديثها عن موقف فرنسا من العرب وإسرائيل ، على الموقف « الحيادي » الذي اتخذته حكومة فرنسا تجاه العدوان الإسرائيلي في حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، وتجاه الأحداث المباشرة التي قادت اليه — أي سحب القوات الدولية من سيناء وغزة وإغلاق خليج العقبة في وجه إسرائيل — والتطورات التي جاءت بعده . وتكاد هذه الكتابات تصور هذا الموقف وكأنه « حادث فجائي » أو نبت شيطاني ، نما في فراغ . وفي الحياة السياسية — وفي كل حياة أخرى — لا شيء ينبع من فراغ ، بل لكل شيء جذور وسوابق ، تتوّد اليه ، وتولده .

فعدوان ١٩٦٧ لعب دورا مساعدا في التعجيل ببلورة اتجاه فرنسي أكثر تقاربا من ومع العرب ، وأكثر ابتعادا عن إسرائيل ، ولكن ذلك العدوان لم يكن الدافع الوحيد لاتخاذ هذا الموقف (١٢).

فالخطوط العريضة للسياسة الفرنسية تجاه العرب وإسرائيل بدأت تتحدد وتتضح فيها بعد استقلال الجزائر ، وزوال احد الأسباب الأساسية التي قادت الى سوء العلاقات العربية — الفرنسية ، بل والتي كانت أحد دوافع فرنسا الى المشاركة في